

## مقصدية الخطاب القرآني بين التأويل وفعل الترجمة

## Intentionality of the Quranic discourse between interpretation and the act of translation

د/مسكجوب حميدات\*، جامعة سعيدة د مولاي الطاهر hamidatmesk@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/06/10

تاريخ القبول: 2023/03/16

تاريخ الاستلام: 2023/02/05

## ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى إمطاة اللثام على العلاقة بين فعل الترجمة وفعل التأويل في ترجمة معاني القرآن الكريم، وفي محاولة إكساب الترجمة طابعا علميا مؤسسا، وإطارا منهجيا قصد الابتعاد عن تطبيقات نماذج ميكانيكية ذات اتجاه واحد مصدرها اللغويات، ارتأينا أن نقدم مجموعة من الآليات بالشرح والتفسير التي لا بدّ للمترجم أن يركز عليها لتكون له القدرة في الوقوف على خصوصية الخطاب القرآني وتحديد تلوينات عملية نقل المعنى سيما وهو أمام بؤرة الإشكال السيমানتيكي. وبقدر ما تسعى أيضا إلى إظهار آليات جاك بيرك في ترجمته لمعاني القرآن الكريم؛ التي تجاوزت ثنائية التأويل و المقصدية. وإلى وصف تعامله مع الجملة اللسانية في إطار مجازيتها. ونحن إذ نعرض بعضا من ترجمة جاك بيرك فلأنها تعكس في الحقيقة تحليّ جلّ ترجمات المستشرقين في تعاملها مع النص القرآني.

الكلمات المفتاحية: فعل، السلطة، النص، التأويل، الترجمة، الخطاب.

تصنيف JEL : XN1، XN2.

## Abstract:

We examined research on knowledge and reasoning , which indicates the indentification of the relationship between the act of translation and the act of interpretation to translate the meanings of the holy Quran. in this context, the researcher try to give translation scientific character, and a methodological framework in order to move away from the applications of one way mechanical models that come from linguistics. To this end, we have presented and explained a set of translation mechanisms. On the other hand, the researcher is going to describe how do the translator Jacques Berque deal with the metaphoric and homonymous problem it includes analysis of structure of phrases clauses and sentences, which has to be correctly identified and taken into account by translator

**Keywords:** act ; power; interpretation; translation ; discourse

**Jel Classification Codes:** XN1, XN2

## 1. مقدمة:

تعرض الدراسة أولاً إلى توصيف مكانة اللغة العربية بين اللغات، وذلك لتوضيح خصائصها اللغوية والبيانية؛ التي أكسبتها قدرة على التعبير والبيان لا تضاهيها فيها أي لغة، وهذا التوصيف يقودنا إلى فكرة مؤداها أنّ ترجمة عربية القرآن ليست بالهوية؛ بل هي أصعب ما توجهت إليه المهم. وإذا كان الأمر كذلك، والحال هذه، فإننا نجد أنفسنا ملزمين بالبحث عن آليات اللازمة لتخطي الترجمة الحرفية وإعطاء صورة عامّة لميكانيزمات الترجمة. تتجلى في ثلاثية: سلطة النص وفعل التأويل وفعل الترجمة. إنّ الذي نلمحه في العلاقة الرابطة بين فعل التأويل وفعل الترجمة، هو ذاك التصور المنهجي المبني على قضية الفهم والإفهام وهي غاية الفعل التأويلي في ملامسته لسلطة النص لتحقيق التواصل الإبلاغي، ومنه كان لازم علينا تغطية أدوات الفهم والبحث والتمحيص ليتجهّز المترجم لجمع أدواته التأويلية لمقارنته لمعاني الخطاب ابتغاء الوصول إلى مقاصده. وعلى هذه الأسس جميعاً تتأسس العلاقة: سلطة النص وفعل الترجمة وفعل التأويل والمقصدية، هاته العلاقة التي تستلزم كذلك نوعاً من التواطؤ بين قطبي التواصل ليكون خليقاً بالاهتمام فلا يكون مجرد تجميع للكلمات، مثلما فعل المترجم جاك بيرك في ترجمته لمعاني القرآن الكريم الذي كانت جلّ إجراءاته عبارة عن استنباطات خطية تسعى وراء البرهنة لا تتوخى الإيحاء في أدقّ صيغته. ففي معالجتنا لهاته الترجمة؛ ارتكزنا على الدراسة المعجمية مشفعين ذلك بمنهجية الترجمة العكسية لتحرّى دقّة الترجمة ونكون منصفين في نقد تلك الترجمة، ولم نقم سوى بالإشارة إشارة طفيفة إلى ما وقف عليه جاك بيرك في ترجمته للآية القرآنية التي تناولناها بالدراسة والبحث فيما تبعته من معانٍ ظاهرة .

إنَّ مجهودنا في هذا العمل لا يتعد عن هذا المنحى ولسنا ندعي الإحاطة بكل جوانبه، وإثما نتخذنا قناعتنا بحقيقة أنَّ تلك الترجمة حرّفت النص القرآني ونحن مسؤولون أمام هذا الواقع. وفي إطار هذه الإشكالية، هناك سؤال يطرح نفسه بشدّة عبارة عن مفارقة لا يجوز إغفالها هل في فعل التأويل ما يخدم سلطة النص ويقف على ظواهرها اللغوية، وأيُّ تأويل هذا الذي له القدرة الكافية في تحقيق هذه الوسطية، أهو إفراغ النص في قالب منهجي جاهز بمفاهيمه وأدواته ليصير جسم النص مادة اختبار إمكانات المنهج حيث يخضع النص ويُهمل سلطته؟، هذه الأسئلة المختلفة نزوم من خلالها أن نعقد روابط الجدل بين الثلاثية سلطة النص وفعل التأويل وفعل الترجمة. وفي محاولتنا لتتبع هذه المحاور والإجابة عن تلك الأسئلة استندنا على آليتين من آليات المنهج التي لا يستطيع أيُّ منهج الاستغناء عنها؛ ألا وهي المنهجية الوصفية والمنهجية التحليلية؛ لأنّهما يزودانا بالجرأة النقدية كي نخطو الخطوة الأولى نحو البرهان على أنَّ لا غنى للترجمة عن التأويل في إدراك مقاصد النص القرآني وترجمته.

## 2. المنطلقات النظرية للترجمة:

فالترجمة إذن، بوصفها فعلا فكريا، تهتم بالمعرفة الكاملة للاختلافات اللغوية، إذ تحظى بالكثير من المفاهيم النظرية، قد صنفها humparo huntado إلى خمسة بنود ( ألبير 2007، 166-169 )

1- **البعد اللغوي:** هذا النوع من الدراسات عند تطبيقه على الترجمة يصف اللغات ويقارنها باستخدام عدة نماذج دون الدخول في الأبعاد الخاصة بالدراسات النصية.

2- **البعد النصي:** فهذا البعد يسهم في إبراز دور الأنماط النصية في الترجمة، والارتكاز على بعض المفاهيم مثلا البنية

الظاهرة، والبنية الكبرى والبنية الصغرى والنصية والانسجام والتماسك النصي والتناص.

3- **البعد المعرفي:** ويقصد بهذا البعد تلك الدراسات التي تركز على التحليل الخطوات التي تتم ذهنيا للمترجم عند القيام بعمله.

4- **البعد الفلسفي الهرمونطقي:** هو ذو طرح فلسفي وهرمونطقي لقضايا الترجمة.

5- **البعد الاتصالي والاجتماعي والثقافي:** هذا البعد يسلط الضوء على الوظيفة الاتصالية للترجمة؛ وذلك بالعناية بالجوانب السياقية المحيطة بالترجمة.

فرغم وجود هذه التنظيرات لفعل الترجمة؛ فلا يمكن بأي حال من الأحوال الخوض غمار ترجمة النص القرآني نظرا

لخصوصيته؛ لأنّ نظمته العربي جزء من الوحي، كما أنّ حروفه نفسها كمّا وكيفا لها تأويلات خفية.

وأمام هذه القدسية، لا يمكن أبدا للغة القرآن واللغة الهدف أن يكونا على قدمي مساواة؛ ذلك أنّ اللغة العربية هي لغة أكثر أهلية لأن تكون لغة الوحي. لا جرم أنّ توصيف اللغة العربية بأنّها لغة بيان، الذي يربو عن كثير من المستشرقين، يستدعي أن نقرّ إقرارا جازما أنّ التصور النظري لمادة النص الأصلي لا بدّ أن يعرض حال المادّة لكشف الغطاء على أطراف الترجمة، ذلك لتوضيح مقام اللغة الهدف ما إذا كانت ترقى بما تمتلكه من قوة تعبيرية تجاه اللغة العربية.

من هذا المنطلق وجدنا أنّ علماء اللغة يرون أنّ العربية تشتمل على قواعد كثيرة لا نظير لها، وأنّها أوسع أحوالها من اللغات الأخرى ثروة في أصول الكلمات والمفردات، هذا، "ولأنّه قد تجمع فيها من المفردات في مختلف أنواع الكلمة؛ اسمها وفعلها وحرفها" (وافي ط6، ص17). كما لها خواص أخرى كثيرة يلخصها الباحث اللغوي وافي " في طريقتها في تصغير الأسماء الممكنة والأشخاص مثل (حنين و كليب)" (وافي ط6، ص17). فقد فاقت اللغات بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها، ولم يعرف لها في أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة [.....]، ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة" (أنيس 1978ص85). فهذه المقولة للفرنسي أرست رينان تؤكد أولا على قدرة اللغة الفاعلة في تحقيق وتوقيع وتوصيف المعاني وإيصالها بتفصيلاتها الجزئية.

وإذا كان الأمر كذلك والحال هذه، فإنّ عملية الإبلاغ في النص القرآني تتطلب الإبانة عن مقاصد الخطاب، وهذا يقتضي السر الوجودي الكينوني المطلق أن يعود الأمر إلى الحكمة الإلهية في اختيار العربية لغة للقرآن الكريم. وحسبنا شهيدا لما نطق به آيات من كتاب الله الحكيم: ﴿وَإِنَّهُ لَشَرِّيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)﴾ (سورة الشعراء، 192-195).

وحقيقة الأمر أنّ لغة القرآن الكريم في حد ذاتها تفرض على المفسر والمؤول سلطة تتجسد في النظم القرآني؛ ذلك لأنّ نظمه العربي جزء من الوحي كما أنّ حروفه نفسها كما وكيفها لها تأويلات خفية، ناهيك أنّ النص القرآني ليس فقط "نصا فنيا مقسما على قضايا معينة ثمّ تنقطع فيه الرؤية الشاملة، بل إذا جاء المفسر لآية واحدة أو لطائفة من الآيات يمكن أن تكون في قضية واحدة ، يرى أنّ هذه القضية الواحدة تماسكت الآيات فيها على عدة محاور من كلام عن الله، وعن الكون والجزاء والنفس البشرية، والإيمان والأخلاق تماسكا غريبا لا يُعرف إلّا في النص القرآني" (الغزالي دت، ص42). وأمام هذا النظم الإعجازي؛ فإنّه يتشكل لفعل الترجمة حرمة والمتعامل معه يجب أن يمتلك القدرة وسعة المعرفة لأن ينقل عالما متكاملا من الحقائق الكونية والإنسانية إلى فكر آخر. ومهما كان لفعل الترجمة القدرة المطلقة التي تحقق، بدون شك، وسطية محكمة بين المقصدية وسلطة النص؛ فإنّ السرّ في تحقيق هذه الوسطية هو فعل التأويل الذي يظل يحقق نوعا من الانسجام بين المقصدية والسلطة، وهو عمل من أعمال العقل. إذ يخضع لقيود سلطة النص التي تفرض نفسها على هيئة نسيج مداره انتظام البنى في صورتها النهائية؛ تحقيقا للدلالة الكلية التي تقودها تجليات المقصدية. ومادام فعل التأويل عمل من أعمال العقل فإنّه بضرورة يقوم على عملية المفهمة التي تقوم على شبكة من المفاهيم داخل النص وتتبع تطورها ونوعية العلاقات والروابط التي تحدّد الرؤية العامّة للنص. وتقتضي هذه العملية استراتيجية تحليلية تجمع بين المظاهر الصرفية والتركييبية والدلالية، وأيضا استخراج كل القيم التي يقوم عليها مظهر التأليف انطلاقا من المادة الصوتية. باعتماد على كلام العرب ودلالة الألفاظ وأسباب التزول والناسخ والمنسوخ وبقية الأدوات التي يحتاجها المؤول. وهذا ضرب من التفسير إذ يقول عنه العلامة الفقيه محمد الحجوي الثعالبي: "نحن نعتبر كل ترجمة للقرآن تفسيراً فقط لبعض معانيه، وشرحا من جملة الشروح وليست عينه" (ذاكر 2015 ص267). فتلك الآليات تتركز على الفهم " المتّصف بالكمال الذي لا يقنع باستيعاب الاتجاه المنضبط في الفكر، ولاستحضار الدقيق للشعور، والإتقان الإمساك بالنغمة الصحيحة، ودقّة التعرّف على المقصد ولكن عليه أن يتجاوز ذلك كله إلى إحكام الجمع بين هذه المعاني المتساهمة في نسقها الصحيح" (حلال، ع10 ص91). وهذا يجعل المترجم ينقل معاني النص في ظلّ شروط الاحترام والتبجيل التي تيسّر قابلية الترجمة (traduisibility) " (ذاكر 2015 ص269).

فقضية الفهم إنما ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك العلاقة الكائنة بين عالم اللغة وسلطة النص؛ الأمر الذي جعل عملية الفهم تتخذ لنفسها شرعية تتعلق بفعل التأويل، "الضبط أماكن النص الاستراتيجية واستخراج شبكاته الدلالية....." وبعيدا عن أن يكون هذا الإجراء الاستنباطي خطيًّا، ينطلق أولا من المدلولات وحدها ثم يدخل في سلسلة من الحركات المكوّنة المسعفة في ربط الخبر المدرك بالعناصر المخزونة قبلا في الذاكرة الدلالية لمنحه معنى أو لاستباق بقية الخطاب"؛ وحينها تقل المؤشرات وتزداد [عملية الفهم] من أجل الاستنتاج و[الاستنباط] ..."(ذاكر 2015ص43). وهذا الأخير مبني على فهم لوزام المعنى ونظائره ومراد المتكلم بكلامه ومعرفة حدود كلامه بحيث لا يدخل فيها غير المراد، ولا يخرج منها شيء من المراد" (الجوزية [د،ت]، ص218)

ومن هنا تأتي إمكانية الخضوع لفعل التأويل، مهما كان معقداً، لحظة استخراج المعنى التصوري، تبعاً لتقاليد النص وسياقه الإدراكي عبر تسخير المصادر اللغوية من اختيارات تركيبية ومعجمية وإيقاعات، إلى حدّ أنّ الأصوات وإيقاعات الكلمات تسهم في بناء المعنى. وهذه الآلية يعتبرها ريتشاردز شكلاً من أشكال القراءة الدقيقة؛ الهدف منها هو إنجاز تعبير مبين كامل في التأويل

والترجمة؛ يتّصف كلاهما بالكمال، ذلك إذ يقول: "إنّ الفهم المتّصف بالكمال عليه ألاّ يقنع باستيعاب الاتجاه المنضبط في الفكر، والاستحضار الدقيق للشعور وإتقان الإمساك بالنغمة الصحيحة، ودقّة التّعرف على المقصد؛ ولكن عليه أن يتجاوز ذلك كلّ إلى إحكام الجمع بين هذه المعاني المتساهمة في نسقها الصحيح" (حلال مجلة فكر ونقد ع 10 ص 91) ويصبح الأمر متعلّقاً، بما نظر إليه ريتشارد من خلال مقولته هذه، بخلفيات المخاطب "إذ هي التي تحدّد التأويل المناسب الذي يعطيه المخاطب للنص، وعندما نتحدّث عن خلفيات فإنّه يقصد بها التراكم المعرفي لدى المترجم؛ ويلخصها الناقد عبد المالك مرتاض في ثلاثة عناصر متمثلة في (مرتاض، 2001، ص 28-29):

1- العلم بأحوال الناسخ والمنسوخ، وبأسباب التزول. بما فسّر بحديث وما لم يفسر به، ثمّ بما فسّره به علماء الصحابة وعلماء التابعين ومحاولة غربلة كلامهم لإبعاد المدسوس والمنحول من أقوالهم والعلم بالآيات المتأولة ومحاولة معرفة التي نزلت فيها على الأقل، وهل هي مكية أم مدنية.

2- القدرة على الاستنباط من هذا العلم، والبراعة في المبادرة إلى المقارنة والاستنتاج وفرض الفروض [.....] وحسن الاجتهاد تخريج المسائل المتعلّقة بنص القرآن، بناء على معطيات القرآنية نفسها أو عليها مضافا إليها ما صحّ من الحديث النبوي من أقوال الصحابة.

3- العلم بالعربية في كل مستويات العلم بها من نحو وصرف وبلاغة وأسلوبية ومعجمية واشتقاقية. كما يتطلّب أيضا أن يكون المترجم ممن تبحّروا في علم الدلالة وعلم اللغة ؛ لأنّ الترجمة التي تغذيها اللسانيات والسيميوطيقا تساعد المترجم على التّخلص من الايديولوجيات التلقائية التي تلاحقه. وهذا يأخذنا إلى فكرة مؤدّاها أنّ النص رسالة خطائية تتخلّلها تصورات صريحة وتصورات تأويلية للخطاب؛ فلاشكال الصريحة يراها دومونيك مانغو ذات دلالة واحدة لأنّها لغة مباشرة وصريحة، أمّا الأشكال التأويلية فهي عنده موسومة لغويا تتطلّب فعلا تأويليا.

فأمّا الأشكال التأويلية الصرفة فتحمل في طيّاتها استشهادات خفية، تستدعي في رأي دومونيك، السياق الداخلي وثقافة المتلفّظ والإطار الثقافي للمتلقّي "بالتصرف مانغو، 2008، ص 41-43). فذكر مانغو للإطار الثقافي للمتلفّظ؛ ذلك على سبيل أنّ "اللغة باعتبارها جزءا من ثقافة محدّدة لا يمكن أن تفهم إلّا ضمن محيطها الثقافي" (شاهين، 1998، ص 24). وهذا لا يعني أبدا أنّ رسالة الخطاب القرآني موجّهة إلى العرب فحسب؛ وإنّما هي رسالة ربّانية عالمية تتجاوز الزمان والمكان، وتخطب الناس جميعا على اختلافات مداركهم ومشاربهم. ذلك لأنّ الخطاب القرآني يتميز " بأعظم الأساليب التي خالف بها القرآن أساليب العرب [إذ] جاء في نظمه بأسلوب جامع بين مقصديتين ؛ مقصدية الموعظة ومقصدية التشريع، فكان نظمه يمنح بظاهره السامعين ما يحتجون أن يعلّموه، وهو في هذا النوع يشبه خطبهم، وكان في مطاوي معانيه ما يستخرج منه العالم الخير أحكاما كثيرة في التشريع والآداب وغيرها. (عاشور 1984، ص 115، ص 116).

وبمجموع المعطيات السابقة الذكر، أصبحت الضرورة تقتضي الإقرار أنّ الكأداة الكؤد تظل هي المقصدية وهي عملية بنائية تضمّ كلّما أنتجه الفعل التأويلي عبر رصد السياقات والقرائن. من هنا تنشأ موازاة جدّية بين ما يقصده الخطاب القرآني وما توصل إليه المترجم عبر آلياته ومعدّاته المعرفية التي ذكرناها آنفاً؛ إذ "كلما توفر [المترجم] على معلومات من تلك المكونات كانت أمامه حظوظ قوية لفهم الرسالة وتأويلها" (خطابي 1991ص297).

كما يمكننا الإدعاء بأن المقصدية تعتبر أُسًا للطرح الوجودي والمنهجي وعموده الفقري فقد شكّلت محور اهتمام اللغويين العرب منذ القدم وكانت جزءاً أساسياً في دراسات البلاغيين والنقاد الأصوليين؛ إذ يرى الجرجاني أنّ البلاغة لا تنبني على الألفاظ كقوالب لغوية إلاّ إذا كان وراءها تيار من المعنى يحركها، فيقول "وجملة الأمر أنّه لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصفه، إن لم يقدّم فيه ما قدّم ولم يؤخّر ما أخّر وبدئ بالذي ثنى به، أو ثنى بالذي ثلث به لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصفة. وإذا كان كذلك فينبغي أن تنظر إلى الذي يقصد واضع الكلام أن يحصل له من الصورة والصفة، أي الألفاظ يحصل له ذلك ، أم في معاني الألفاظ؟، وليس في الإمكان أن يشك عاقل إذا نظر ، أنّ ليس ذلك في الألفاظ، وإّما الذي يتصور أن يكون مقصودا في الألفاظ" (الجرجاني، ص46).

ومن هنا يمكننا القول أنّ المقصدية هي الغاية التواصلية من الخطاب، وإنّ لكل نص إلى جانب مقاصده التواصلية الموضوعية مقصداً تواصلياً إجمالياً يُدرك من خلال البنى والقرائن والسياقات. ونحن إذ نتعرض إلى هذه القضية لا بدّ أن نؤكد أنّه لا يمكن تسييح كل آفاق النص القرآني وتحليلاته، نظر لإمكانية تعدّد التأويلات. وهذا يشير ضمناً إلى الناقل لن يقدم ترجمة للقرآن، بل ترجمة لأحد معاني القرآن ؛ فلا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله". (ذاكر 2015ص262)

### 3. إشكالية الترجمة بين الفعل المعجمي في اللغتين (من-إلى) والسمات البلاغية:

وضمن هذا السياق نعرض لتجربة جاك بيرك في ترجمته لمعاني القرآن الكريم، وقد عرضنا له ترجمة للآية القرآنية ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَئِذَا نَزَّلْنَاهُ مِنْ رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

(سورة المائدة، الآية 64)

les juifs disent :La main de Dieu est verrouillée que leurs soient verrouillées ! Maudits soient-il pour leurs allégations ! bien au contraire les mains de Dieu s'ouvrent largement, et prodiguent à Sa volonté. Mais bien sur ! elle ne fait chez beaucoup d'entre eux , la descente opérée sur toi de la part de ton seigneur, que les grandir en impudence et dénégation. Aussi bien avons-nous jeté parmi eux l'inimitié, la haine jusqu'au jour de la résurrection. Tout les fois qu'ils allument un feu pour la guerre, Dieu l'éteint : ils ne s'en démentent pas moins à dégât sur la terre. Or Dieu n'aime pas les faiseurs de dégât.( Berque, 1995, p123)

الملاحظ من ترجمة بيرك أنه استند على النظرية القواعدية ، فهي ليست أكثر من استبدال القواعد والمفردات. ويمكن وراء هذا الفعل الترجمي الافتراض أن اللغة هي نظام رمزي في بنية محدّدة؛ وهذه النظرية حسب ديسباسي<sup>١</sup> افترضت وحدة العقل الانساني وشمولية أشكال التفكير والمعرفة فهم يفترضون أن يكون عندنا جميعا نفس أسلوب التفكير حول الكون، وأن فكرة القواعد كانت لرؤية كيف يتم تصنيف الأشكال بحيث تصبح مهمة العالم النحوي هي إيجاد المعاني التي تتطابق مع تلك الأشكال في لغته (شاهين 1998، ص22). كما كان مبعثها قائم على فكرة مؤداها أن "الأشكال لا يمكن أن تنفصل عن معانيها، فعلى [كل مترجم] أن يبدأ بالأشكال وليس المعاني" (شاهين، ص25، 1998). ومبعثها أيضا من أن "تأثير الثقافة ينحصر في مجال المفردات فقط، أما قواعد اللغة ( الفنولوجيا والصرف والنحو) فهي لا ترتبط في الحقيقة بالثقافة، ولا توجد أية قيود ملحوظة بينها وبين تصور المجتمع للعالم" (ميشال 1983 ص221 )

إنّ مرادنا من الإشارة إلى النظرية القواعدية وما تنطوي عليه من مرجعية فكرية هو الكشف عن آليات فعل الترجمة عند كل من سار على هذا النهج، إذ هو ضرب من الشكلائية التي كان أصحابها يتجنبون المعنى، معتمدين في ذلك على التحليل البنيوي ومعتقدين أن " الإشارات اللغوية موضوعية بالأساس، بحيث يُسمح لتوافق واحد لواحد بين الأنظمة الرمزية [ويجب على المترجم] أن يعمل أثناء الترجمة على مستوى اللغة langue وليس الكلام parole ووحدة اللغة إمّا الكلمة أو الجملة" (شاهين، ص22، 1998). غير أن طبيعة اللغة ترفض تماما هذا النوع من الترجمة؛ لا يمكن أبدا الاستبدال المباشر القواعد والمفردات من اللغة العربية إلى الفرنسية ؛ ذلك لغياب كلي للبنية الموقعية الخاصة بالجملة الاسمية في اللغة الفرنسية من قبيل الجملة الاسمية في اللغة العربية (بعطيش، 2018، ص266)، ناهيك أن فعل الترجمة لابد أن يخضع إلى قيود سلطة لنص عبر فعل التأويل؛ لأنّ النص ليس مجرد وحدات متصلة وشكلية، كما ظنّ ذلك الشكلائيون، وإنّما تشكّله قرائن وظروف وملابسات التي حفّت بتزول القرآن الكريم؛ إذ لها خلفيات هامّة في فهم معنى الآيات ودلالاتها، لذلك يرى ابن خلدون أن الرسول صلّى الله عليه وسلّم و الصحابة هم الأكثر فهما للقرآن الكريم لإدراكهم تلك الظروف والملابسات ومقتضيات الأحوال التي رافقت نزول الآيات (ابن خلدون، 1990، ص490). فمن الضروري إذن معرفة سياق ومكان إنتاج الخطاب وزمانه.

فإذا أبنا إلى ترجمة جاك بيرك للآية التي ذكرت آنفا لاحظنا كم كانت رؤيته قاصرة عن دقة وسعة اللغة العربية في تصوير المعنى؛ فقد وجدناه يترجم كلمة يد على سطحيتها وكما ينتظر من معجم عادي، وقد اكتفى فيه بالإشارة إلى الجارحة، في حين أن إدراك قيمة هذه الوحدة اللسانية لا يأتي إلّا من خلال الاهتمام بعناصر المكونة للجملة اللسانية وبالعلاقات الداخلية بين هذه المكونات، لذلك تُعالج لفظة يد على أساس أنّها وحدة لسانية لا كلفظة منفصلة عن الجملة اللسانية. أي يجب أن نتحصل معناها من التركيب ككل ومن سياق الحال أو ما أصطلح عليه المفسرون بأسباب التزول. وفي هذا السياق يؤكّد جاكبسون أن تعادل الرسالتين في المصدر واللغة المستهدفة يقتضي اختلاف الوحدات الشفوية؛ لأنّهما تنتميان إلى نظامين مختلفين من النظم العلامات (أي لغتين)، وكل منهما تختلف عن الأخرى، في تقسيمها المواقع أي في تحديد أسماء الأشياء والأفعال والصفات. ونوضّح، فوق ذلك، ونحن نتبّع

16

للتخصص في اللغتين - لغة المصدر ولغة الهدف - صلة وثيقة بملاح ذلك الموقف " وهو يقصد بالموقف تلك الملامح التي تتعلق بالوظيفة الاتصالية للنص في موقف معين. (مؤقت، 1997، ص145). وعليه يمكن الإشارة بعدئذ إلى الوظيفة الاتصالية المحمولة على السياق المقامي للآية الذي يشكل جزءاً هاماً من فعلي الترجمة والتأويل؛ إذ لا بدّ من البحث في أسباب التزول وهو عنصر مهم يؤثر في قيمة الخطاب وتأويله كلّما توفر المترجم على معلومات من هذه القرائن المقامية كانت له الحظوظ قوية لفهم مقصدية الخطاب وتأويلها ثم ترجمتها، فمن واجب المترجم، أيضاً، أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه الخطاب، ومن الضروري أن يعرف من المتكلم ومن المستمع وزمان إنتاج الخطاب ومكانه " (خطابي، 1991، ص297). غير أن إدراك تلك القرائن المقامية ما هي إلا طريق لتمهيد الفهم للوصول إلى القصد القرآني.

وأما ترجمة جاك بيرك لكلمة **مغلولة** فلاحظنا كيف تمّ نقلها إلى اللغة الفرنسية بكلمة *est verrouillée*، إذا أمعنا النظر في هذه الترجمة وجدنا أنه قد غيّب المعجم اللفظي من الجهتين إذ أنّ لفظة *verrouillée* حسب توظيفاتها عبر سياقات مختلفة في اللغة الفرنسية أنّها تؤدي معني مغلقة ومقفلة كما يجيء في الآتي:

Il a la capacité de contourner android **verrouillé** sur tous les moéles de téléphones, y compris les derniers .

لديه القدرة على تجاوز Android **مقفّل** على أي طرازات الهواتف، بما ذلك أحدثها.

Impossible de connecter d' ici. Le système est **verrouillé**

le Sujet verrouillé jusqu'à la fin de sa rédaction

الموضوع **مغلق** حتى يتم الانتهاء من كتابته.

فهذه السياقات اللغوية المختلفة التي تحدّد كلمة *verrouillé* كلّها تصب في قالب معنوي واحد ألا وهو مقفل. والطريقة التي قمنا بها ما هي إلاّ ضرب من الترجمة العكسية أو كما سمّاها المترجمون بالترجمة الإبداعية *transcreating* ؛ ذلك لأنّها تعمل كمصفاء للتدقيق اللغوي لا تسمح بمرور تعبيرات غير دقيقة.

أمّا كلمة مغلولة الواردة في الآية القرآنية هي، في حقيقة الأمر، من جذر غلّل وأصله في اللغة : تدرع الشيء وتوسطه، فالغلّ مختص بما يقيد به فيجعل الأعضاء وسطه. وغل فلان : قيد به ؛ قال عز وجل ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ (الحاقة /30) وقال : ﴿إِذَا الْأَغْصَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (غافر/71) وفي قوله أيضاً عز وجل ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ (الاسراء 29) وتعني أنّ الله سبحانه وتعالى فهم الإنسان أن يجعل يده مغلولة إلى عنقه وهذا يعني لا تقبض اليد وتغلها إلى عنقك فتمنع من البذل الواجب فتكون بخيلاً ولا تبسطها فتمدّها وتبذل المال في غير وجهه.

جَادِ الْحَمَى بَسْطُ الْيَدَيْنِ بَوَابِلُ \*\*\* شَكَرْتُ نَدَاهُ تِلَاعُهُ وَوَهَادُهُ

السياقات المقامية ما هي إلا وسيلة للتوضيح والإبانة، وإذا رجعنا إلى إدراك معاني تلك الآية وجدناها حسب ما وقف عليه ثلّة من المفسّرين، تتجاوز المعطيات الحسية الدنيوية. لتقف على توطين نفسية رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام وحتى توطين أمته نفسها على "أن هؤلاء الكفرة لن ليكتفوا بالقدر اليسير والقليل من الكراهية لـ [سيدنا محمد ولأمّته التي تحمل المنهج الكامل للهداية]، بل كلّما جاءت [له] نعمة بزيادة الهدى من الله، سيحسدونه وسيبغضونه، وسيزداد تمرّدهم وحقدهم على [سيدنا محمد وأمّته أجمعين]". (الشعراوي، المجلّد الخامس، 1991، ص3267)، فالله سبحانه وتعالى يخبر رسوله بأن يوطّن نفسه على هذا؛ ليستمدّ مناعة إيمانية تسدّ عليه "كلّ منافذ وسوسة النفس لجعلها على استعداد لاستقبال ما يحدث حتى ولو كان من المكاره" (الشعراوي، المجلّد الخامس، 1991، ص3267). وهذا الأمر واضح في الآية القرآنية إذ ما كان ليخبر رسوله الكريم بكلام اليهود في ما اتّهموا به ربنا الكريم، وتعالى الله عمّا يصفون، إلّا ليفضح قولهم سلوكياتهم؛ إذ أنّ "اللغة كما يمارسها المتكلّمون هي نوع من السلوك وضرب من العمل" (السعران، دت، ص310) فهذا القول فضح خُبثهم وكفرهم في تجرّئهم على الله سبحانه وتعالى؛ ولم يقف إلى هذا الحد؛ بل فضح خططهم في الفساد والتدمير. ويقول الحق في ذلك: (كلّما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله).

### 3. خاتمة

ونخلص إلى القول إذن، بعد كلّ ذلك، أنّ ما أخذناه بالدراسة كان على سبيل المثال لا الحصر؛ فهي كثيرة تلك نماذج الإخلال بالمعنى والتي تتعلّق بالتركيب والمعجم والدلالة في ترجمة جاك بيرك، وهي في مجملها تحتاج إلى دراسات تفصيلية. والملاحظ من ترجمات القرآن الكريم عامة ليس فقط ترجمة جاك بيرك وترجمة كاسيمرسكي وبلاشير وإنّما حتى تلك الترجمات الآلية المكتوبة عبر قنوات القرآنية. كلّها ارتطمت على صخرة الإشكال اللساني أوّلا وانفلات المقاصد ثانيا. لغياب السياق التداولي البلاغي والأعراف اللغوية والبلاغية والمأثور التفسيري لنص القرآني في ترجماتهم، وراعت في ذلك فقط ظاهر اللفظ وهو ما يعتبر خيانة لمفهوم الأمانة.

وإنّ ما رأيناه في رصد معاني الألفاظ في سياقها التداولي العرفي، يجعل من اللغة العربية تأخذ بعدا حضاريا مترعا بالتاريخ والثقافات المصاحبة، فيضحي فشل ترجمة النص القرآني أمرا بديهيا، لعدم القدرة على مجارات الأعراف اللغوية في سياقها الثقافي مصدره الوقائع السيكو-سوسيو-إثنولوجية المتباينة.

والثابت الذي لا شكّ فيه أنّ هناك بون واسع بين الحامل اللساني (le support linguistique) داخل النص القرآني والقائم في نطاق التصور المجرّد؛ إذ يستدعي هذا الأمر سلطة النص لتفرض نفسها على فعل التأويل ولا يمكن أبدا لأيّ وجه من الوجوه أن يقترب فعل الترجمة على نحو ما يعزّ علينا أن يتجرّأ على معاني النص القرآني. ونسلسل القول بأنّ المنطق التأسيسي والتأصيلي لفهم واستنباط المقصدية يتماشى والفعل التأويلي الذي يرفع سلطة النص في تأني وثبات وفي إحاطة شاملة تتجلى في ما يمتلكه المترجم من آليات قد فصلناها في متن هذه الورقة البحثية؛ ليأتي فعل الترجمة في الأخير ويقف على ما انتهى إليه فعل التأويل.

## قائمة المصادر والمراجع:

- (1) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة أنجلومصرية، ط6، 1978
- (2) ابن خلدون المقدمة تدقيق المعلم عبد الله البستاني، مكتبة لبنان، ط4، 1990م
- (3) ابن قيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة (د،ت).
- (4) أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1. 2006 .
- (5) أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض –السعودية، ج2، الطبعة الأولى 1998م.
- (6) أحمد موقت 1997، مشكلات دلالية في الترجمة من العربية إلى الإنجليزية، دار القلم العربي، ط1 سوريا-حلب.
- (7) أمبارو أورنادو ألبير، ترجمة علي إبراهيم المنوفي، الترجمة ونظرياتها، مدخل إلى علم الترجمة، مركز القومي للترجمة ط1، 2007.
- (8) جلال الدين السيوطي 1973، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت ج2.
- (9) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، دار الفكر، بيروت لبنان، 1983.
- (10) عبد المالك مرتاض، نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، دار الهومة الجزائر، 2001.
- (11) محمد خطابي، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، بيروت 1991م.
- (12) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، دار أخبار اليوم، قطاع الثقافة والكتب والمكتبات، 1991.
- (13) محمود السعران، علم اللغة، دار النهضة العربية، بيروت.
- (14) مصطفى حلال، الأبعاد الثلاثة للترجمة مجلة فكر ونقد عدد10
- (15) ميشال زكريا، الألسنية المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ط2، 1983م.
- (16) وافي علي، فقه اللغة دار النهضة المصرية القاهرة، ط6 .
- (17) عبد القاهر جرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط:3، السنة 2001.
- (18) محمد شاهين، نظريات الترجمة وتطبيقاتها في تدريس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية، وبالعكس، مكتبة دار الثقافة، عمان الأردن، 1998.
- (19) عبد النبي ذاكر، الترجمة قضايا ومقتضيات، سلسلة شرفات، العدد 56، مطبعة بني أرناسن سلا، المغرب، سبتمبر، 2015 .
- (20) محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن الكريم، في مدارس أجراها عمر عيد حسنة، دار الرجاء، عناية الجزائر (د،س،ط).

- 21) دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح تحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتي، دار العربية، للعلوم ناشرين، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2008 .
- 22) أبو حيان الأندلسي ، تفسير نهر الماد من بحر المحيط، مؤسسة الكتب الثقافية، دار الجنان، بيروت - لبنان ج1، 1407هـ.
- 23) محمد طاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، ج1، 1984.
- 24) firth papers in linguistic oxford university press new York, Toronto, 1957
- 25) Jacques Berque, Essai de traduction de l'arabe, première édition , Albin Michel, S,A,1995 Paris